القدس بين جيشين

منذ ثمانية وثمانون عاماً دخل الفرنجة القدس وأرجلهم تخوض فى دماء ضحاياهم، الأمر الذى أثار أشمئزازهم وفخرهم، أما صلاح الدين السلطان المسلم فقد أرسل حرسه لحماية أعداءه المستسلمين، بعد أن قام بوضع فارسين وعشرة جنود مشاة مسلمين فى كل شارع من شوارع القدس لحماية الفرنج[1]، بل وتم فرض فدية ضئيلة لتحريرهم ـ عشرة دنانير مصرية[2] عن الرجل، وخمسة عن النساء، ودينار عن الطفل ـ، وبالنسبة للمعدمين من فرنج القدس تم تحرير سبعة آلاف شخص منهم مقابل ثلاثين ألف دينار فقط، هذا فى الوقت الذى رفض بطريرك القدس هيراكليوس وهيئة كنيسته التكفل بفدية ولو لشخص واحد فقط، بل كان مشهد موكب البطريرك الطويل بعرباته التى تنوء من حمولتها من سجاجيده وملابسه وصحافه الذهبية مما أثار الدهشة بالأخص لقبول فدية شخص عادى للسماح له بمغادرة المدينة، ونفس الشئ للملكة سبيل التى سُمح لها بالخروج من القدس برتل طويل من العربات المكدسة بما خف وثقل وزنه وغلا ثمنه،

وعندما أفرج صلاح الدين عن ألف أسير من المعدمين كما رجاه أخيه الملك العادل، سارع البطريرك بطلب مماثل لنوال فخر مجانى، فحرر صلاح الدين سبعمائة للبطريرك وخمسمائة لبليان الأبلينى،

هذا فى الوقت الذى لقى فيه المنسحبين من القدس الأمرين من بنى جلدتهم، بعد أن غادروا القدس بكامل ممتلكاتهم، ليقعوا فى كمائن الأمير رينالد صاحب قلعة البترون التابعة لطرابلس، والطامع فى ما يمتلكونه، بل رفض كونت ريموند فتح أبواب مدينته أمامهم، بل وهاجمهم أهالى المدينة ونهب ما فى أيديهم، حتى "أثبتوا أنهم أكثر وحشية وقسوة للمسيحيين من المسلمين أنفسهم"[3]

كل هذا بالرغم من الصورة الوحشية التى أكتسبها الفرنج بالشرق، صورة غلفتهم كلما طفت ذكريات إلتهام الفرنج لحوم أهالى معرة النعمان، وأن لم يصل لأسماع العرب المعاصرين إعتراف مؤرخون صليبيون بهذه الجريمة، ولكن أخبار ما حدث سيخيم على الشرق لمدة طويلة، الأمر الذى حدا بأسامة بن منقذ إلى وصف الفرنج

[1] ذيل وليم الصورى ص121
[2] السلوك ج1 ق1 ص96
[3] رسائل جاك دى فيترى ص264

"بأنهم بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير، كما فى البهائم فضيلة القوة والتحمل"[4]

وأن كان هناك نقطة جديرة بالملاحظة، وهى حرص الصليبيين على تفريغ مدن الساحل من سكانها العرب تماماً، سواء بالقتل أو التهجير القسرى، بعد أن رسخت الدعاية الصليبية فى ذهن معاصريها أن القدس أرض خاصة لهم يحتله المسلمون، بينما سمحوا ببقاء أعداد معتبرة من السكان الأصليين فى الأراضى الداخلية التى أستولوا عليها، وقد يكون السبب فى ذلك إستشعارهم أهمية المدن الساحلية بإعتبارها الرئة التى يتنفس منها كيانهم المعتمد على الغرب الأوروبى، وكذلك إحتياجهم للسكان الإصليين للعمل بالزراعة بالأراضى الداخلية الخصيبة، وقد يكون السبب وحشية وعنصرية وجشع قوات الجمهوريات الإيطالية التى أشتركت بشكل رئيس فى الإستيلاء على المدن الساحلية، فى الوقت الذى لم يساهم الصليبيون فى إضافة أى ثقافة للشرق، بل مجرد مذابح وقتل وسفك دماء،

وقد أدت التحديات التى كان يجب على الشرق مواجهتها إلى ترسيخ الملك المحارب، الذى ظهر بدولة السلاجقة، حيث أن الأعمال العسكرية المتلاحقة والمستمرة، والتهديدات المتواصلة رفعت على العرش من لا يتحلى بنسب، بل أعتمد طريق العرش على القدرات العسكرية،

الأمر الذى مهد الطريق لأسرتى زنكى وأيوب لتولى رأس السلطة فى الشرق، وقد أستطاع عسكريان من هاتين الأسرتين تهيئة المناخ لتوجية الضربة القاضية للوجود الصليبى بالقدس، بعد أن كانت فكرة الجهاد ما زالت ناعسة، فالملك العادل نور الدين محمود بما مُنح من ورع وإيمان وقدرات عسكرية وإدارية قام بتوظيفها لإدارة الصراع ضد الوجود الصليبى، حتى أستطاع تمهيد الطريق للقدس بشكل كبير، وذلك بإجهاد الصليبيين بفضل دائبه وإصراره على القتال ضدهم، وإضفاء روحه الوثابة على شعبه، الأمر الذى منحهم الإيمان بضرورة القتال وتنامى روح التضحية بينهم، ليستكمل صلاح الدين ـ الذى يعتبر ضرورة فرضتها دواعى تحرير القدس ـ الطريق من بعد أستاذه نور الدين، ولتكتمل حلقات الجبهة الإسلامية الموحدة، بضم البلدان العربية بعضها البعض وتشكيل طوق من المدن العربية المحاصرة للوجود الصليبى،

وقد أضطر البطلان القتال شمالاً ضد من حاول فصم عرى الجبهة الموحدة التى آمنا بضرورة تشكيلها قبل الإقدام على الوثبة الأخيرة ضد الصليبيين فى المشرق،

[4] الإعتبار ص132

فنور الدين أضطر لقتال الموصل عقب موت أخيه لخوفه من تغريد أولى مدن محور المقاومة خارج السرب[5]، وهو ما دفع صلاح الدين لعبور الفرات وقتال الموصل ومدن الجزيرة للسبب ذاته، وهو تحويل خصومه إلى حلفاء فى جهاده ضد الصليبيين، والحفاظ على الجبهة التى ورثها عن نور الدين وتنميتها، جبهة رأى فيها الطريق الوحيد لتحرير القدس، حتى أستطاعا إنهاء تسعين عاماً من التدهور والإضمحلال والتشرذم، ليظهر نجاح صلاح الدين فى تشكيل جيشه بحطين والذى حظى بدعم جميع القوى الإسلامية بالعراق والشام، فبخلاف جنوده المصريين والسوريين كان معه أمراء أسرة زنكى بالموصل وسنجار والجزيرة وأربيل وحران حتى أكراد شرق نهر دجلة،

حتى أصبح نور الدين الشخصية الأكثر تأثيراً فى مصائر الشرق، بينما أستأثرت شخصية صلاح الدين النبيلة الجذابة على أحاديث المساء حول المدافئ فى الشتاء القارص بأكثر الأكواخ تواضعاً فى غرب أوروبا،

وكانت الصفات الصلبة، والصبر، والنشاط الدائم، والإيمان الذى تمتعا به، جعلهما يحظيان بالتقدير فى كل مكان يمرا به، وأدت المعارك المتصلة التى خاضاها إلى إثبات أن مهمة الحاكم ليست دائماً مريحة،

وإن تميز نور الدين بمهابة بدون عنف دفعت قواته للأقدام على قتال قوات شاور وأمورى بمعركة البابين خوفاً من مواجهته فى حال إنسحابهم، فقد سيطرت على صلاح الدين رقة طباع ونُبل أخلاق دفعت أعداءه للإعجاب به، وتجاوز تسامحه حدود المعقول فى عصره، حتى أن بعض أمراءه الأكراد، يسمى الأمير الجناح أخو المشطوب قال لصلاح الدين اثناء معركته ضد ريتشارد بيافا، قل لغلمانك الذين ضربوا الناس يوم فتح يافا يحملون[6]

---

5 عند موت قطب الدين مودود ملك الموصل وشقيق نور الدين محمود، حدثت مشاكل وراثية بين أبنيه، فتدخل نور الدين لإصلاح ذات البين، فخاف وزير الموصل فخر الدين عبد المسيح من سيطرة نور الدين على الموصل لمشاعر الكراهية التى كان يكنها نور الدين له، فحاول الإستنجاد بأتابك فارس إيلدكز، فأرسل إيلدكز رسالة لنور الدين ينهاه عن الموصل ويتهدده، فقال نور الدين لرسول إيلدكز "قل لصاحبك أنى أرفق ببنى أخى منك، فلا تدخل بيننا، وعند الفراغ من إصلاحهم يكون الحديث معك على باب همدان ـ عاصمة إيلدكز ـ فإنك ملكت نصف بلاد الإسلام وأهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها، وبُليت أنا بأشجع الناس (الفرنج) فأخذت بلادهم وأسرت ملوكهم، فلا يجوز لى أن أتركك على ما أنت عليه، فإنه يجب علينا الحفظ فيما أهملت من بلاد الإسلام، ورفع الظلم عن المسلمين" (مفرج الكروب ج1 ص193)

6 الروضتين ج4 ص188 ، بسبب منع صلاح الدين جنوده من نهب مدينة يافا عقب إقتحامها الأمر الذى دفع إلى بعض أمراءه إلى التقاعس عن القتال

كما مثل البطلان القدوة بإشتراكهما الفعلى فى القتال فهما لم يرسلا جنوداً للقتال، بل كانا على رأس جيوشهما، مشاركين جنودهما حساءهم ومخاطر القتال، فنور الدين بقامته الفارعة وبشرته السمراء كان يمتطى حصانه متسلحاً بقوسه وسهامه ملقياً بنفسه وسط المعركة كأى فارس من فرسانه، وكذلك تلميذه صلاح الدين الذى دفع بأولاده وأخوته وأولادهم للصف الأول من المعارك ليضربا المثل للتضحية بما آمنا به، وكان فى حروبه يمر على جنوده ويقول لهم "أنا واحد منكم"[7] بعد أن قضى أغلب سنوات عمره على صهوة جواده قبل معركة حطين حتى تحقيقه تحرير القدس،

بين حركتين إستعماريتين

قد تكون مقولة أن التاريخ يعيد نفسه بها بعض الشئ من المبالغة، ولكن هناك الكثير من الأحداث التاريخية التى تتلاقى بينها العديد من أوجه التشابه، فالعقل البشرى متشابه على مر العصور، وأن وجدت إختلافات فذلك بسبب إختلاف الثقافات والمعارف، ولن نستطيع إستبعاد العديد من التشابه بين ما مر على أسلافنا إبان الحروب الصليبية وبين ما نمر به فى الوقت الحاضر، بل سنجد الكثير من نقاط التماثل بين الحركة الصليبية الإستعمارية والحركة الصهيونية الإستعمارية[*]، فكلتا الحركتان إستندتا إلى نصوص بالعهد القديم (التوراة) لإثبات دعوى حقهم فى السيطرة على القدس، بل حاول المؤرخون الصليبيون ربط الحروب الصليبية بالحروب المذكورة بالتوراة للإيحاء بإن الحروب الصليبية قامت بأمر إلهى، كما تم بناء الحركتين على أساس عنصرى يسمح لهما بقتل الغير بدون أدنى شعور بالذنب، بأسباغ شرعية للقتل بستار دينى، ويمنحهم الحق فى إستلاب أراضى الغير حلالاً طيباً، بعد أن هبط الصليبيون على مدن وقرى آمنه، تقتل وتذبح وتسلب وتهجّر أبرياء عزل، تحت دعاوى ملفقة، فقد أطلق الصليبيون على أنفسهم "أبناء الله" بينما اليهود يرون أنهم "شعب الله المختار"،[*]

---

[7] شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ص64

[*] وإن كنا نرى أن الحركة الصهيونية ما هى إلا إمتداد للأستغلال الذى مارسه الغرب والعمل على عدم الوحدة بين شقى العرب لضمان عدم قيام دولة قوية جنوب البحر المتوسط ، وذلك بزرع جسم غريب يشطر الوطن العربى لشطرين وإن أختلفت مادة هذا الجسم الغريب بالرغم من إتفاق دعاوى قيامه مع دعاوى الحركة الصليبية ،

[*] مارتن لوثر مؤسس مذهب البروتستانت بالقرن السادس عشر يقول "من يحول بين اليهود وبين عودتهم إلى يهوذا (فلسطين) ؟ لا أحد ، ولسوف نزودهم بكل مؤونه الرحلة ، وما ذلك إلا لكى بتخلص منهم فهم عبئ علينا

ولم تلقى الحركتين النجاح إلا بالتمزق العربى وتشرذم المسلمين، وصراعاتهم الداخلية،

وإذا ما أشمأزت نفوسنا ونحن نشاهد إقتحام الصليبيين للقدس والمذبحة التى أرتكبوها، بينما تتردد صرخات القتلى لمدة ثلاثة أيام بين أبنية المدينة الحزينة بينما يجوب الموت داخل دروبها، بعد أن خلف الفرنج جثث أهالى القدس على عتبات مساكنهم، والمذابح التى سبقتها بمعرة النعمان وأنطاكيا وما بعدها ببلبيس وغيرها، ستصطدم نفوسنا بنفس المنهاج والمذابح التى أرتكبتها الحركة الصهيونية بدير ياسين وصبرا وشاتيلا وقانا، فالحركتان أتبعتا سبيل التطهير العرقى لتفريغ الأراضى العربية من سكانها لتكون لهما خالصة ،

كما أن بؤرة الصراع فى الحركتين واحد، مدينة القدس، وكما كانت الحركة الصليبية تعتمد إعتماد كلى على الغرب الأوروبى لمدها بالقوى البشرية والإقتصادية مما سمح لها للبقاء حية، نجد إبنتها الحركة الصهيونية تعتمد على الغرب الأوروبى الأمريكى لمد شرايينها بما يمسك عليها الحياة، بعد أن أستمرت القدس تلهب خيال الغربيين الذين لم يستطيعوا نسيان هزيمة أسلافهم فى حطين، للدرجة التى جعلت الجنرال الفرنسى "هنرى جورو" ويسرع لقبر صلاح الدين الأيوبى بمجرد إستيلاء القوات الفرنسية على دمشق فى يوليو 1920م عقب الحرب العالمية الأولى ويقول "ها قد عدنا يا صلاح الدين"

كما قامت الحركتان بزرع مجتمعين عسكريين فى الشرق، يعتمدان على فرض الأمر الواقع بالقوة المسلحة، وسخرت الحركتان كافة أمكانيات كياناتهما للحرب، بعد أن أسقطهما إحتلالهما أراضى الغير والوحشية التى أعتادتا ممارستها ضد أعداءهما، تحت هاجس أمنى سيطر على كافة مناحى الحياة داخل نتاج الحركتين،

كما أن الحركتين تولد لديهما يقين بإن مفتاح إستقرارهما بالشرق فى القاهرة، فمصر هى محور الشرق وقلب العروبة والإسلام، وهو ما يفسر الهجوم الشرس على مصر والحروب الطاحنة التى شنتها الحركتان ضد القاهرة،

كما أنه مثلما أستماتت الحركة الصليبية فى الحيلولة دون قيام وحدة بين العالم العربى، نجد مجهودات الحركة الصهيونية ومن وراءها الغرب فى منع قيام الوحدة بين العالم العربى بل ومحاولة تحطيم الدول العربية ،

لهذا لن يكون من الغريب إن عرفنا أن أكبر نسبة بين الجامعات والمعاهد العلمية المهتمة بدراسة الحروب الصليبية فى العالم هى الجامعات العبرية، فقد أستفادت إسرائيل من تجارب الصليبيين بالشرق، فكما حرصت مملكة بيت المقدس على تغيير ديمجرافية فلسطين بزرع المستوطنات الصليبية على الأراضى العربية المحتلة، سواء لجعل هذه المستوطنات مراكز لتغذية جيوشها بالجنود، أو للإستفادة من هذه المستوطنات لمد كيانها بإحتياجاتها الغذائية، كذلك حرصت إسرائيل على زرع مستوطناتها لنفس الأسباب(*)

ولا ريب أن السيرورة الحتمية التاريخية تحتم إنهيار وإنقضاء الحركة الصهيونية، تماماً كما أنهارت وأنتهت الحركة الصليبية وإختفاءها من الشرق،

كنا مع أول موجة إستعمارية أوروبية تحت زريعة معلنة روحية وهمية، أما الباعث الحقيقى هو نزعة التوسع الأقليمى للبارونات الفرنسيين الجشعين، والمصالح التجارية للجمهوريات الإيطالية الإنتهازية، وتم بناء هذه الدوافع على ركيزتين أساسيتين، هما تحرير بيت المقدس من المسلمين، والقضاء على الكنيسة المنشقة الأرثوذكسية اليونانية، وإن كان أساس بناء هذه الحركة الإستعمارية هى الهيمنة على العالم،

والملفت أن الحروب الصليبية والتى أندلعت بدعوى من الباباوية لم تقم بإى أعمال تبشيرية بين محكوميها، بالرغم من نظر البابا أربان للحركة الصليبية على إنها حركة تبشيرية، فقد أكتفى أمراء الكيانات الصليبية بإستغلال محكوميهم وإستنزاف ما يمكن إستنزافه من نتاج كدهم والأغتراف من ثروات الشرق بدون إنشاء أى قنوات إتصال بينهم، الأمر الذى جعل الكيانات الصليبية أراضى إسلامية، أغلب سكانها من المسلمين، فى الوقت الذى قام البعض من أمراء الصليبيين بالشرق بقمع رجال الدين المسيحى بمنتهى الوحشية، الأمر الذى يؤكد علمانية الحركة الصليبية فى واقعها التى دعت إليها الباباوية،

وفشلت الحركة الصليبية فى بناء كيان متماسك ذو جذور قوية ممتدة فى الأرض، وما أن إصطدم بالجبهة الإسلامية المتحدة إلا ظهر كالقصر الضخم المصنوع من ورق وقد تحول إلى رماد تذروه الرياح، حتى أختفى أى تأثير لاتينى بالشرق بمجرد طرد أخر الصليبيين من الشام، بشكل لا يمكن تخيل إمكانية طمس إستعمار قضى ما

* تعتمد منظومة الإحتياط للجيش الإسرائيلى على التوزيع الجغرافى للجنود ، حيث تمثل كل مستوطنة ومدينة وحدة عسكرية إحتياطية مكونة من سكانها ،

يقرب من القرنين بمثل هذا اليسر، فالمجتمع الصليبى وُلد مسخاً يحمل فى مهده أسباب وفاته ،

وأتسمت العلاقة بين المستغيث مع من أغاثه بالعداء الشديد، ووصل فى الكثير من الأحيان إلى القتال والصدامات المسلحة، بل نجد جودفرى أثناء زحفه يحاول المرور بالإجبار داخل أراضى بيزنطية، والتى من المعلن أنه جاء نجدةٌ لها، مما يبين أن قادة الحملة الأولى لم يحملوا بين صدورهم أى تقدير لإستغاثة الأمبراطور البيزنطى، بل كانت لهم دوافع أخرى كثيرة إلا الدافع المعلن لبدء الزحف، حتى كانت أول أمارة صليبية يتم تأسيسها بالشرق مختلسه من بين أيدى حاكم مرتبط ببيزنطة،

ليس هذا فقط، بل حمل جودفرى الكثير من العداء ضد البابا أوربان نفسه، فقط قاتل جودفرى فى صف البابا جيبرت المنافس لأوربان قبيل الحملة الأولى، الأمر الذى يبين أن الوازع الدينى جاء متأخر عن دوافع أخرى كثيرة للأشتراك بالصليبيات،

قد فشل الصليبيون فى الإستيلاء على أى من المدن الإسلامية الداخلية الكبرى فى الشام بالرغم من محاولاتهم الحثيثة للسيطرة على دمشق وحلب، كما فشلوا فى التقدم جنوباً للسيطرة على مصر، وذلك للمقاومة الشديدة التى أبداها الكثير من أمراء هذه البلدان، الأمر الذى حصرهم بالشريط الساحلى الضيق ،

وقد كانت القوى متقاربة ولم يميل الميزان العسكرى لطرف بشكل حاد، بل كان الميل يتأرجح ببطئ، وما شكل فارق فى القوة بين الطرفين لم يكن القوى البشرية أو التسليح بقدر ما كان الإتحاد والتعاون والتنظيم بين عناصر الطرف الواحد ،

لم يكن هناك أى إتصال بين الصليبيين وسكان البلاد الأصليين، فهما كانا ينظران لبعضها نظرة العدو اللدود، فالنبلاء أستأثروا بكافة الطيبات وأغدقوا على أنفسهم ألقاب الشرف وكافة الأراضى الواسعة والإمتيازات تاركين فتات الفتات لمن هم دونهم، أما السكان الأصليين فكان عليهم زراعة أراضى أجدادهم ليتمتع مغتصبيها بخيراتها،

وقد إنتقل عدم قدرة الصليبيين على تقبل الأخر إلى فشل مكونات المجتمع الصليبى على تقبل بعضهم البعض، فالعداء بين الصليبيين الجدد والصليبيين البلديين كتب بداية النهاية لوجودهم على ضفاف البحر المتوسط الشرقية،(*)

* وهو ما يمكن ملاحظته من العنصرية فى إسرائيل بين اليهود السفرديم والأشنكاز والفلاشا

كما خانت الحركة الصليبية كافة حلفاءها من حكام الشرق الذى ظنوا أن أمنهم عند أعداء أمتهم، بل قامت بالحنث بقسمها للأمبراطور ألكسيوس كومنين المستنجد بهم، بإستيلاء بوهيمند على أنطاكيا، كما قامت الحركة بضرب تحالفها مع معين الدين أنر حاكم دمشق عرض الحائط وقامت الحملة الصليبية الثانية بالزحف على دمشق، كما قامت الحركة الصليبية بخيانة تحالفها مع شاور وحاول الملك آمورى جاهداً الفوز بمصر وإحتلالها.

وقد أضطرمت نيران الحروب الصليبية الأخيرة فى كل مكان إلا فلسطين، فقد تفرقت بها السبل على غير هدى من القسطنطينية بالحملة الرابعة 1202 - 1204م، إلى مصر فى الحملة الخامسة 1218 - 1221م والحملة السابعة 1249 - 1250م، حتى وصلت إلى تونس 1270م، وما يثير الدهشة حقاً إنها لم تصادف التوفيق إلا بالإستيلاء على القسطنطينية المسيحية 1204-1261م لتسقط الأمبراطورية البيزنطية المسيحية والداعية للحروب الصليبية تحت براثن الفرنج، ليتقاسم الفرنسيون والبنادقة الأمبراطورية البيزنطية لتذهب بيزنطة ضحية لمن استنجدت بهم، وإن أدى سقوط القسطنطينية تحت السيطرة الصليبية إلى إفراغ الكيانات الصليبية بالشام من الفرسان، الذين وجدوا أن الإقامة على ضفاف البسفور أكثر أمناً وأقل صخباً من الأقامة بالأراضى المقدسة،

الحروب الصليبية هى التى أيقظت أوروبا من سباتها الطويل، كما كانت المشروع الأول الذى جمع كافة الأوربيين على عمل مشترك واحد، بعد سنوات التقاتل والتناحر بينهم، وفتح عيونهم الساذجة على حضارة وحياة علمية متقدمة، نهلوا منها، كما زادت الحروب الصليبية معلومات أوروبا التاريخية والجغرافية، وأدت حركة تحريك الجيوش إلى الشرق إلى تطور النقل البحرى الأوروبى، وأصبحت التجارة من أهم الأعمال الإقتصادية بالغرب، الأمر الذى أدى إلى تطور وسائل الأقراض والأعمال المصرفية والبنكية، كما قضت على الإقطاع بسبب تمرد أقنان الأرض على حياة العبودية التى رزحوا تحتها، بعد أن وجدوا فى الحروب الصليبية متنفس يستطيعوا الهروب إليه، كما كان هجرة نسبة معتبرة من طبقة الفرسان إلى أرض الثراء بالشرق من أسباب تهاوى قوة الإقطاعيات، الأمر الذى أدى إلى نمو قوة الملكيات الأوروبية مما أدى إلى الخروج من عباءة الكنيسة، مما يعد من أرهاصات عصر النهضة الأوروبية،

إنتصـــار الشـريـف

التاريخ أنما هو حياة ، يجب علينا الإستفادة من تجارب أسلافنا، فالتجربة هى خير مُعلم، ولعل الدرس الجلى الواضح من الحروب الصليبية هو الإتحاد، فبدون إتحاد لاقى الشرق هزائم ونكبات سمحت لهؤلاء القتلة إقتطاع جزء كبير من شرقنا الإسلامى، والتنعم بخيراته حتى إنتبه الشرق، وما أن أتحد أبنائه حتى تبدل الوضع، ودارت بوصلة الإنتصارات ليتم تطهير الشرق منهم، حتى أصبحت الكيانات الصليبية أثر بعد عين ،

فعند قدوم الحملة الأولى كان الشرق منقسم على نفسه، حتى أستطاع الصليبيون بمنتهى السهولة تحقيق ما جاءوا من أجله، ولم يقاتلهم بشجاعة وإصرار إلا الطبيعة بالشرق، شتان بين أمراء وحكام الشرق الذين كانوا بمنتهى السخاء وهم يدرءون عن الصليبيين ضربات المجاعة والعوز الذى أوقعتهم به الطبيعة وطقس الشام الذى حاول الدفاع عن أبناءه، وبين صلاح الدين الذى أستخدم هذه الطبيعة وأشهر عليهم سيف العطش،

الفرق الشاسع بين الإنهزام الذى منى به الشرق أبان الحملة الصليبية الأولى، والإنتصارات التى حـقـقها الشرق والذى توج بحطين، يبّين الفرق بين أمة مشرذمة، مفككة، متناحرة، وبين أمة موحدة، متماسكة تحت قيادة قوية،